

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الفرق المعاصرة

موجهة للسنة الأولى ماستر عقيدة

إعداد:

د/ زبيدة الطيب

محاضرة رقم 09

خوارج العصر والحوارج الجدد

تعريف الفرقة:

نعني بالفرقة منظومة فكرية قائمة على تصورات ومفاهيم وتفسيرات خاصة للعقيدة الإسلامية؛ تصدر عنها بالضرورة سلوكيات اجتماعية ومواقف سياسية وممارسات في تمثل الدين وتطبيقه في الواقع. وهي بذلك تشكل تحيزات فكرية وثقافية كامنة لها (أي للفرقة) وهي غير الأحزاب والمذاهب والمدارس، وإن كانت قد تتقاطع معها أو مع بعضها في كونها منظومة فكرية تتحرك وفق تصورات خاصة للكون والحياة والإنسان والعالم.

معنى معاصرة:

نعني أنما وليدة العصر؛ أي ظهرت نتيجة ظروف وتحديات معاصرة، غير أن ذلك لا يعني انقطاعها عن التاريخ؛ أي أن لها امتدادا معيناً في التاريخ الإسلامي، وهي تستل الكثير من الأدبيات والتفسيرات والفهوم من حركات و فرق وجدت في التاريخ بل وتستند في إثبات شرعية وجودها اليوم من نصوص تلك الفرق ومن رموزها.

كما نعني بكونها في العالم الإسلامي؛ أي أن انتشارها الجغرافي يشمل العالم الإسلامي كله وفق التقسيم الإثني الطائفي الواقع وهو الشق السني والشق الشيعي.

2/ خوارج العصر: سبق بيانه (تصدر فيها علماء من التيار السلفي بدءاً من المحدث المحقق الشيخ أحمد شاكر إلى الشيخ الألباني إلى عديد كبير من رموزه اليوم وصف حركة الإخوان بخوارج العصر).

كما شمل هذا الاسم لاحقاً حركة " التكفير والهجرة" وهي جماعة نشأت وتكونت في السجون المصرية في أعقاب اعتقالات 1965 التي أعدم فيها أحد أكبر منظري حركة الإخوان سيد قطب وكثير من إخوانه. "...وقد كثر أتباعها في صعيد مصر وفي الأوساط الجامعية وصارت الجماعة تنمو وتتوسع أفكارها [...] وفي أجواء التعذيب ولد الغلو ونبت فكرة التكفير والهجرة ووجدت الاستجابة." (ممدوح الحربي،

الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة، ص 167)

وقد اعتبر صاحب موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة ممدوح الحربي، المحسوب من علماء السلفية اليوم هذه الجماعة من خوارج العصر في موسوعته التي خصص فيها بحثاً حول الحركة من ص 167 إلى 175؛ ليظهر فهم الحركة لمسألة الحاكمية؛ الذي ينجر عنه مواقفها السياسية من الحكومات التي لا تحكم

الشريعة الإسلامية وموقفها من المجتمعات التي تقبل حكمها ولا تتور ضد ظلمها ومن ثم الحكم عليها بالكفر الذي ينجر عنه تلقائياً ضرورة هجرتها والإعراض عنها بوصفها جاهلية لأن الله تعالى يقول: " وأعرض عن الجاهلين." وهو معنى " التكفير والهجرة."

الخوارج الجدد:

انتقل مصطلح الخوارج لتسمى به فرقة أخرى؛ لكن ليس تحت مسمى الخوارج المعاصرة، بل الخوارج الجدد، وهي تسمية أطلقت على القاعدة، وهو تنظيم أسسه أسامة بن لادن بمساعدة أيمن الظواهري مؤسس تنظيم "الجهاد المصري" عام 1988، وحمل اسم "الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والنصارى" وضمت الجبهة داخلها ست تنظيمات جهادية من أكثر من دولة، وعرفت إعلامياً بتنظيم "القاعدة"؛ أي قاعدة بيانات الشباب الإسلامي المتطوع. (حسن أبو هنية، مركز الجزيرة للدراسات).

وقد أطلقها تاليا أيمن الظواهري ضد أبو بكر البغدادي صاحب "الدولة الإسلامية في العراق والشام" والمختصرة إعلامياً "داعش" فقال عنه: " قائد زمرة من الخوارج الجدد." وأن تنظيمه هو خنجر في ظهر المجاهدين. وكان ذلك في 2013 في أوج الأحداث الدامية في سوريا؛ حيث طلب البغدادي من جبهة النصرة بقيادة أميرها محمد الجولاني الانضمام إلى تنظيم الدولة في العراق؛ ورفضت النصرة وأعلنت الولاء للقاعدة وزعيمها أيمن الظواهري؛ الذي طلب من البغدادي الإبقاء على الدولة الإسلامية في العراق والنصرة في الشام، إلا أن البغدادي أصر على ضم التنظيمين (أي الدولة الإسلامية والنصرة) واتهم الظواهري بالتخاذل. ما جعل الظواهري يصفه وأصحابه بزمرة الخوارج الجدد. (تنظيم الدولة الإسلامية: القصة الكاملة، وثائقي في بي.بي.سي. https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016/04/160427_islamic_state_group_full_story)

وتسمية الخوارج الجدد وإطلاقها على هذا التنظيم وغيره من التنظيمات؛ هو ما تجمع عليه أغلب علماء ورموز التيار السلفي في الفتاوى التي يصدرونها؛ بالنظر إلى بعض الفهوم الاعتقادية كالتكفير واستحلال دماء المسلمين والخروج على الحاكم ورفض طاعة أولياء الأمور. ومن ذلك ما أفتى به جماعة من علماء ودعاة المملكة، وعلى رأسهم مفتي المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ الذي وصفهم بأنهم امتداد للخوارج الذين هم أول فرقة مرقت من الدين بسبب تكفيرها المسلمين بالذنوب، فاستحلت دماءهم وأموالهم. واعتبر نهار العتيبي وهو عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب أن هؤلاء هم خوارج العصر؛ لموافقتهم الخوارج في التكفير واستحلال دماء المسلمين. (مشايخ وعلماء سعوديون: "داعش" خوارج وشوكة في نحر المسلمين، 25 أغسطس 2014، <https://sabq.org/6qjgde>)

وفيما تركز الفتاوى وبعض الدراسات الإسلامية على التوصيف الخارجي؛ الذي يحمل في كثير من الأحيان الطابع الأيديولوجي بعيدا عن التحليل العلمي للظاهرة؛ تذهب دراسات وبحوث لمراكز عالمية إلى البحث في الظروف والخصائص البنيوية التي جعلت خروج هذه التنظيمات التي أطلق عليها أحد الباحثين اسم التيار الإحياء الإسلامي الجهادي المعولم. وتعزو تلك الدراسات خروج هذا التيار إلى جملة من الأسباب تضمنتها ثلاث رؤى لكبار المراقبين والمنظرين في العالم:

الرؤية الأولى: وهي أن خروج هذا التيار وعلى رأسه تنظيم القاعدة هو ضد الهيمنة الغربية خاصة و.م.أ التي تقف وتؤيد أبشع استيطان في العالم اليوم وهي الحركة الصهيونية، وتؤيد وتدعم في الوقت نفسه الأنظمة الاستبدادية التي تتآمر ضد قضايا شعوبها وعلى رأسها القضية الفلسطينية. وهذه الرؤية يعزوها مركز الأهرام للمفكر والمنظر السياسي اليهودي نعوم تشومسكي.

الرؤية الثانية: تتحدث عن أن خروج القاعدة وغيرها من التنظيمات سواء كانت مسلحة أو وسطية في العالم الإسلامي هو في سياق الصدام الحضاري بين المسلمين والغرب ويمثلها صمويل هنتنجتون.

الرؤية الثالثة: تشير لرد ثقافي ونفسي يتماس مع دوائر سياسية واجتماعية واقتصادية أوسع على الحداثة التي حمل الغرب لواءها، ويعبر عن هذه الرؤية بـ **بول بيرمان**. (دليل الحركات الإسلامية في العالم، عرض كمال حبيب، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية).

<https://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2006/2/9/>

فيما تذهب دراسة أخرى إلى اعتبار تنظيم داعش "خوارج جدد" بوصفها طابورا خامسا يعمل لصالح قوى أجنبية، وهو مرتزقة في شركة "بلاك ووترز". الأمريكية، والدراسة لصاحبها أسعد العزوني في الحوار المتمدن، ع 4796. غير أن إطلاق تسمية الخوارج المعاصرون أو الخوارج الجدد من طرف البعض على الإخوان أو على القاعدة أو داعش أو غيرها هي في الأصل ترتد إلى ما يروونه تطابقا حاصلا في البنية العقدية والفكرية والرؤية الشرعية وحتى الاستراتيجية العملية والممارسات على طريقة الخوارج القدامى.

أما تسميتهم خوارج واعتبارهم طابورا خامسا فإن هذا لم يثبت في حق الخوارج القدامى الذين كانوا يعملون على مشروع داخلي؛ أي الموقف من السلطة القائمة ولم يكن لهم ارتباط بأي جهة خارجية؛ إذ الأمر (أقصد الارتباطات الخارجية والعمالة لأجنبي) لم يكن على القدر الموجود عليه اليوم. ولذلك فإنه لا وجه لإطلاق تسمية الخوارج على هؤلاء لأن لهم ارتباطات خارجية أو أنهم عملاء وما إلى ذلك...

وفي المقابل، ومع بدء الخروج المسلح للعديد من الجماعات إلى الصراع مع الحكومات، وتبنيها مقولات وأدبيات وتفسيرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة وفي الموقف من المخالف من جهة ومسائل الولاء والبراء، وظهور الدعم المادي والمعنوي لتلك الجماعات من قبل تيارات سلفية في بلدان

ومجتمعات وحكومات قائمة على فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ بات الارتباط بين مصطلحي السلفية والخوارج بيّنا وواضحا عند من استهدفتهم هذه الحركات والمجموعات من دول أو شخصيات وصار سلفيو العصر هم خوارج العصر. ومن ذلك ما صرح به أحمد الطيب شيخ الأزهر؛ الذي وصف السلفيين الجدد بأنهم خوارج العصر(السلفيون الجدد هم خوارج العصر، <https://www.hespress.com/orbites/30013.html>)

ثمة ملاحظات ينبغي علينا التركيز عليها وهي:

1/ أن وجود فرق وحركات وتنظيمات وبروز مذاهب وتيارات سواء أكانت سياسية أو فكرية أو عقديّة هو ظاهرة صحيحة، وتعبير عن إرادة قوية للأمة الإسلامية من أجل تغيير وضعها نحو الأفضل، وتعبير عن شعور قوي على عدم الرضى الذي ظل يصاحب الأمة منذ أن تعرفت على وضعها المتخلف بعد حملة نابليون على مصر.

2/ إن تلك الحركات والمذاهب والفرق لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال منبئة أو مقطوعة الصلة بالتاريخ أو بالماضي الفكري أو السياسي أو العقائدي للأمة الإسلامية. وهي من جهة أخرى وليدة عصرها وظروفها وتحدياتها وبشريتها وأخطائها وانتكاساتها ونجاحاتها وانتصاراتها وإخفاقاتها وغير ذلك...

3/ إن قراءتها وتوصيفها ودراستها متاح لجميع من يمتلك المؤهلات المعرفية، وهو يندرج في إطار محاولات تصحيحية من أجل رسم معالم النهضة، والتخلص من أوضاع التخلف والاستبداد وهيمنة الغرب. ولذلك فالدراسة والنقد والذهاب إلى أبعد نقطة في ذلك متاح، بل مطلوب وضروري من الناحية المعرفية وواجب من الناحية الشرعية والحضارية.

4/ غير أن ما سبق عرضه يظهر إفلاسا معرفيا وأخلاقيا حقيقيا من قبل من يتصدرون العلم والفتوى والدعوة في العالم الإسلامي؛ فالبحوث التي ينهك فيها هؤلاء وأولئك أنفسهم في البحث عن المثالب والسقطات والأخطاء؛ هي بحوث ودراسات وفتاوى تتحكم فيها أفكار ضيقة وتوجهها مصالح سياسية وأيديولوجيات مقيّنة مغلقة. وبالتالي هي لا ترقى إلى أن تكون إسهامات في فهم هذه الفرقة أو ذلك التيار والحركة بقدر ما تعمل على تجييش الشباب وطلبة العلم وإبعادهم عن الفهم الحقيقي لها؛ ما يعني أن المسألة ليست في وجود فرق أو مذاهب أو حركات في العالم الإسلامي، وإنما المشكل في أدلتها؛ أي إخضاعها للتوجهات والمصالح الظرفية والآنية وتوظيفها في كل ذلك. وهو ما يكشف في الوقت نفسه هزالها وهشاشة تكوينها ما يجعل مسألة توظيفها سهلة ومتاحة، كما يشير إلى ذلك المفكر السوري برهان غليون.

انتهى

محاضرة رقم 10

الوهابية

التعريف بها:

الوهابية تسمية يقصد بها أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب [1703-1791م] والمعجبين بدعوته وأفكاره. ويذكر خير الدين الزركلي أن أول ما كتب حول محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وحمل تلك التسمية هو كتاب *histoire des Wahabis par L. I* وقد طبع في باريس سنة 1810م. كما كتب عنهم القس زويمر بالإنجليزية *The wahabis*. [خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، ص257]. وذكرها سليمان بن عبد الوهاب في كتاب أسماه "الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية." ، وذكرها مفتي مكة ابن زيني دحلان في فصل أسماه فتنة الوهابية.

واختلف بشأنها بين من قال أنها حركة إصلاحية اهتمت بتنقية عقيدة التوحيد من مظاهر الشرك التي وجدت لها انتشارا كبيرا في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي وبالأخص في منطقة نجد والحجاز. واعتبرت من مظاهر النهضة التي بدأت مبكرا (أدونيس وخالدة حسين في كتابهما: "الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب" المنشور ضمن سلسلتها المسماة بـ"ديوان النهضة.") وبين من قال أنها حركة مارقة يصدق عليها توصيف الخوارج بالنظر إلى الاعتقادات والتفسيرات التي طالت مفهوم التوحيد والشرك خاصة وما تبعها من مسائل الولاء والبراء ودار الحرب والسلام وموقفها من المخالفين من الفرق والتيارات الإسلامية الأخرى كالأشاعرة والمعتزلة والصوفية وانتهاجها منهج التكفير والتضليل والتبديع له. وبالنظر أيضا إلى الممارسات التي صاحبت وجود هذه الحركة منذ ظهورها إلى اليوم مثل هدم القباب المقامة على القبور مثل قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة (إحدي قرى الدرعية) وقطع الأشجار التي كان يتبرك بها الكثيرين في العيينة (مسقط رأسه) والدرعية التي كان يحكمها محمد بن سعود والتي صارت مقرا لدعوته بعد أن جرى التحالف بينهما وهو ما مهد لنشأة المملكة السعودية. واعتبار البلد التي لم تلتحق بالدولة السعودية مرتدة. (أنظر: تاريخ نجد لصاحبه حسين بن أبي بكر بن غنام وهو مؤرخ وأحد تلامذة محمد بن عبد الوهاب.) وبين من ذهب إلى كونها حركة سياسية منذ نشأتها والدليل على ذلك أن الاتفاق الأول المؤسس للدولة ضمّ بنودًا سياسية من البداية. (خالد الدخيل، الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة.)

تاريخ الحركة الوهابية:

انصبت جهود محمد بن عبد الوهاب على محاربة ما اعتبره شركا منتشرا في بلاد نجد والحجاز مثل التبرك بقبور وأضرحة الصالحين والأولياء ما جعل الناس الذين يؤمنون بذلك في نظره مشركون يجب مقاتلتهم

من أجل ردهم إلى توحيد الله تعالى" ... وهو ما ترتب عليه إعلان ابن عبد الوهاب الجهاد ضدهم، فاندلعت سلسلة من المعارك في شبه الجزيرة العربية وما حولها، قُتل فيها الكثيرون ممن وصفهم ابن غنام بالمشركين".

وامتدت حروبه إلى خارج نجد؛ حيث توجه إلى كربلاء بوصفها موطن الشرك ومظاهره، وهي المدينة ذات الرمزية الشيعية، فتذكر المصادر التاريخية مثل كتاب " عنوان المجد في تاريخ أهل نجد" لمؤلفه عثمان بن بشر أن ابن سعود وأتباع ابن عبد الوهاب قتل غالبية أهل تلك المدينة في البيوت والأسواق، واستولوا على ما تحويه من ذهب وملابس وأمتعة، وهو ما تم استعراضه في تلك المصادر كما أثر تدعو للفخر.

في تلك الأثناء أعمل أتباع ابن عبد الوهاب وابن سعود السيف في أهل عُمان والبصرة والطائف وعربان البادية، فقتلوا الكثيرين وسلبوا الكثير من الأموال و الماشية، وكان هذا الاستحلال للدماء والأموال مروراً لديهم باعتبارهم كما تشير الأدبيات التاريخية للمؤرخين الوهابيين كابن غنام وابن بشر هم المسلمون حصراً في مقابل باقي ساكنة شبه الجزيرة العربية والشام والعراق من «المشركين» على حد وصفهم حرفياً.

تمكنت الحركة الوهابية من الانتشار سريعاً بعد التحالف الذي تم بين آل الشيخ وأولاد وأحفاد محمد بن عبد الوهاب وآل سعود على اقتسام السلطة بين الدينية لآل الشيخ والسياسية لآل سعود، ولكن بنبرة تكفيرية أقل حدة من بدايتها بحسب ما يذكره بعض المؤرخين. وساعدها في ذلك عوامل كثيرة (ليس مجال ذكرها).

بين الوهابية والسلفية:

يتمسك أتباع هذه الحركة بسلفتيتها؛ حيث ينظر الوهابيون إلى أنفسهم بوصفهم سلفيين من أهل السنة والجماعة. ويقصرون أهل السنة والجماعة عليهم فقط ويخرجون الأشعرية والماتردية ولا يعتبرونهم من أهل السنة والجماعة بل هم عندهم من الفرق الضالة المبتدعة، ولا يرون غضاضة في تسمية السلفيين بالوهابيين.

وهم على مذهب الإمام أحمد في الفروع ومنهج الإمام ابن تيمية وابن قيم الجوزية في فهم مسائل العقيدة الإسلامية؛ الذي يعتبرونه باعث منهج السلف الصالح من الأمة في فهمها وتفسيرها بعد أن حرف تلك الفهوم والتفسيرات فرق ضالة ومبتدعة والمقصود المعتزلة ومن بعدهم الأشاعرة كما يقولون. وهم يحملون مواقف مناوئة وحاقدة على الشيعة والصوفية.

فعقائد الوهابية هي عقيدة السلف القائمة على التوحيد ومحاربة الشرك بكل أنواعه وترك التأويل والتعطيل والتشبيه والتمثيل كما هو حال الفرق الأخرى مثل المعتزلة والأشاعرة المؤولة والحشوية المجسمة كما يقولون. وهي قائمة على ترك القول بخلق القرآن الكريم وإكبار علماء السنة الذين نافحوا ووقفوا ضد المؤولة في المسألة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل. وقائمة على القول في الإيمان وكونه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وعلى أن الخروج على الحاكم محرم شرعاً لورود الكثير من النصوص وغيرها من الأدبيات التي دأبت على ذكرها رموز ومشائخ هذه الحركة لإثبات سلفتيتها.

ولما كان الوهابيون هم من السلف؛ فإنهم يرفضون كل ما يخالف عقيدة وممارسات السلف. ومن ذلك ما يتم نشره والترويج له في وسائل الإعلام من أفكار وممارسات ونسبتها إلى الوهابية؛ لأن ذلك عندهم هو من قبيل التشنيع عليهم وتشويه صورتهم كما يقولون. " فالوهابية دعوة تجديدية، وحركة تصحيحية، ومنطلقاتها المنهجية مكافئة للعصر الذي نشأت فيه، حيث خيمت الخرافة، وانتشرت البدع، وعم الجمود الفقهي". (كما يقول الأكاديمي الشرعي السعودي، سعيد بن ناصر الغامدي، العربي 21) والحركة الوهابية هي حركة سلفية ولا مجال للفصل بينهما، وأن الفضل يعود إليها في إحياء منهج السلف وتطهير أرض نجد والجزيرة العربية من الشرك ومظاهره.

غير أن هناك من التيار السلفي من يرى أن الوهابية يسمون أنفسهم سلفية زورا وبهتانا وهم أدياء السلفية، وأنها حركة تريد النيل من التيار السلفي، بل إن محمد بن عبد الوهاب نفسه لم يكن من أهل العلم أو ممن يشهد لهم بالعلم، ويستدلون على ذلك مثلاً بأن مفتي مكة الحنبلي محمد بن حميد لم يذكر محمد بن عبد الوهاب في عداد أهل العلم من الحنابلة، وقد ذكر نحو ثمانمائة عالم وعالم في المذهب الحنبلي بل ذكر أباه عبد الوهاب وأثنى عليه بالعلم. وأن أخاه كتب في الرد عليه ردين أحدهما سماه " فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب." والآخر " الصواعق المحرقة" ما يعني أن الوهابية من أول يوم هي حركة تكفيرية تتمرس خلف مسمى السلف لتنفيذ مخططات ضد المسلمين والعالم الإسلامي، وهو ما نجده إلى اليوم يتردد على ألسنة الكثير من السلفيين الذين ينفون أي صلة للوهابيين بالسلفيين.

بين الوهابية والخوارج:

يذهب كبار علماء ورموز السلفية في السعودية إلى اعتبار الوهابية امتداداً للخوارج، ويذكر أحدهم أنه جاء في خوارج العصر الوهابية أحاديث صحيحة تحذر من فتنهم وتنهاي عن إبتاعهم، ويذكر الكثير من الأحاديث التي يستدل بها في حق الخوارج التاريخية. ويدور أكثر استدلالهم على كونهم خوارج العصر على أمرين:

1/ تكفير المخالف:

وهو مبني على مفهوم التوحيد؛ الذي أخذ مفهوماً واسعاً تم بموجبه محاربة الكثير من الممارسات التي كان محمد بن عبد الوهاب يعتبرها شرك بالله تعالى. وقد انتشرت تلك الاعتقادات والممارسات في أغلب بقاع المسلمين الذين كان لهم مفاهيم أخرى للتوحيد والولاية والتوسل وبناء الأضرحة والقباب والاحتفال بالمولد وما إلى ذلك مما يعتبرونه مظاهر شرك يجب أن تحارب وأن يجارب مستحلبها... الأمر الذي انجر عنه تكفير كل من كان له مفهوماً مغايراً لمفهوم التوحيد عنده ليس في نجد والجزيرة العربية فحسب بل في مصر والشام والعراق والمغرب وسائر بلاد المسلمين. وانجر عنه تكفير الكثير من العلماء الذين لم يوافقوا على نظرة بن عبد الوهاب للتوحيد، والتي رأوا فيها تشدداً، وعدم مراعاة أو تفريق بين التوسل والتعبد أو بين الشرك والتقرب؛ إذ ليس كل تقرب هو تعبد مفض إلى الشرك وغير ذلك من المآخذ.

وقد بدأ هو بتكفير أهل زمانه ونفي الإيمان عنهم ورميهم بالجهل واعتبار المشركين أفضل منهم وغير ذلك؛ ومن ذلك ما ذكره الدكتور اليماني الفخري في كتابه "النزعة التكفيرية في فكر الوهابية" ويذكر أح وقد توارث أتباعه تكفير المخالفين إلى هذا الزمن؛ فراحوا يكفرون علماء ومفكرين مشهود لهم مثل أبو الحسن الندوي، المودودي ومحمد عمارة والشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي ووهبة الزحيلي وسيد سابق وغيرهم... وقبلهم محمد عبده والأفغاني والكواكي إلى من قبلهم كالبقلاني والجويني والإسفرائيني والغزالي (أنظر: عبد الرحيم السدحان، أئمة الكفر، وكتاب: الوهابية-نقد وتحليل) والكثير من المواقع الإلكترونية التابعة لهم تعج بتكفير المخالفين وتجهيلهم. ولذلك اعتبرت الوهابية وراء تكوين القاعدة وطالبان والنصرة وداعش وغيرها من التنظيمات التي تمارس القتل والذبح على الهوية في أفغانستان والعراق وسوريا واليمن وغيرها من مناطق العالم الإسلامي.

2/ استباحة الدماء:

نصوص محمد بن عبد الوهاب صريحة في استباحة دماء المخالفين واعتبارهم مشركين؛ تجب مقاتلتهم ومن ذلك ما يذكره في منجزه الموسوم بـ "كشف الشبهات" ص 04

1/ إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لقوله تعالى: " قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ .. ، فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ." [يونس: 31]

2/ إنهم يقولون: ما دعونا الأصنام وما توجهنا إليهم إلا لطلب القرب والشفاعة لقوله تعالى: " الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى." [الزمر: 03] ، وقوله: تعالى: " وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ." [يونس: 18]

3/ إنه ظهر (صلى الله عليه وسلم) على قوم متفرقين في عبادتهم، فبعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم الأنبياء والصالحين، وبعضهم الأشجار والأحجار، وبعضهم الشمس والقمر، فقاتلهم ولم يفرق بينهم.

4/ وقال في رسالة أربع قواعد، ص 401 إن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن أولئك يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، وهؤلاء شركهم في الحالتين لقوله تعالى: " فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ." [العنكبوت: 65] وهو يقصد بمشركي زمانه كافة المسلمين دون أتباعه، وذلك لأنهم يتوسلون بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في شدتهم ورخائهم، ولذلك صاروا عنده أغلظ من مشركي عهد الرسالة.

وقد رد الكثير من العلماء بأن التوسل بالرسول (صلى الله عليه وسلم) جائز عند جمهور الفقهاء، وقصاراه أنه من المسائل الفقهية الخلافية وليس من مسائل التوحيد والشرك، كما أن هناك فرقا جلياً بين المسلمين وعبدة الأوثان والأصنام، فإن المسلمين يعبدون الله وحده، ولا يتوجهون إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا بقصد أن يدعو لهم عند الله، ويشفع لهم عنده، وأين هؤلاء من عبدة الطاغوت الذين كانوا يعبدون

الأصنام ولا يعبدون الله، ويتوجهون إليها على أنها آلهة تملك ضرهم ونفعهم، وهذا الخطأ أدى به إلى استحلال دمائهم على أنهم مشركون، وقد تكرر هذا الخطأ في رسالته كشف الشبهات، حيث يقول في حق النبي (صلى الله عليه وسلم): " أرسله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات بينهم وبين الله، يقولون نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين."

فليس للتكفير سبيل آخر يوصل إليه غير استباحة الدماء، لذلك تشابه الوهابيون من هذا الباب مع الخوارج فصاروا **خوارج العصر**؛ فالتقتيل والتذبيح وسرقة الأموال وانتهاك الأعراض ليس وليد الجماعات التي تنسب نفسها إلى السلف وإلى الوهابية اليوم فقط، بل هو سلوك ظل يصاحبهم في مسيرتهم منذ بداية نشأتهم يقول المفتي أحمد زيني دحلان أيضاً في كتابه: أمراء البلد الحرام: " أن الوهابيين لما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عاماً، واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والأمير والشريف والوضيع، وصاروا يذبجون على صدر الأم الطفل الرضيع، ويقتلون الناس في البيوت والحوانيت، ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوه عن آخرهم، ثم خرجوا إلى المساجد يقتلون الرجل في المسجد وهو راعع أو ساجد، ونهبوا النقود والأموال، وصاروا يدوسون بأقدامهم المصاحف ونسخ البخاري ومسلم، وبقيت كتب الحديث والفقهاء والنحو، بعد أن نشروها في الأزقة والبطائح، وأخذوا أموال المسلمين واقتسموها كما تقتسم غنائم الكفار."

ولذلك اعتبرهم الكثير من العلماء امتداداً للخوارج منهم على سبيل المثال: أحمد عبد الرحيم السايح في كتابه خطر الوهابية على الأمة الإسلامية. واستغرب الباحث عادل الشعيبي وصف الوهابية بأنها امتداد لمدرسة أهل الحديث، "لأنها تخالف تلك المدرسة في كثير من أصولها ومقولاتها، كما أنها حركة متشددة ومتطرفة، تكفر وتضلل مخالفيها من المسلمين بما يقارب طريقة تعامل طائفة الخوارج مع خصومها"

على أن ما ينبغي التذكير به هو أن السلفية مرحلة زمنية مباركة كما قال الشيخ البوطي من حق جميع المسلمين أن ينهلوا منها العلم والإخلاص والصدق والتقوى لأنها المرحلة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية فقال: [خير القرون قرني والذين يلونه...]

ومن هذا المنطلق فإن قيام أي حركة في العالم الإسلامي في أي زمن من الأزمنة بالأخذ من هذه المرحلة والنهل منها ومحاولة الاقتداء بها والأخذ بمنهجها من أجل البحث في أسباب النهوض وتلمس معالمه؛ هو حق مشروع ولا شيء يمنع ذلك من حيث المبدأ؛ وهو أمر لا يخص المسلمين فقط. فمن حق أي أمة أو مجتمع أن تعود إلى لحظة القوة والمنعة في تاريخها من أجل الانطلاق، بل إن الأمم القوية هي تلك التي أحسنت استثمار لحظة القوة والقدوة في تاريخها ولم تنقطع عنه.

إلا أن ما نعيه على هذه الحركة أو غيرها هو احتكارها لمرحلة ورموز وتاريخ واسم هو ملك لجميع المسلمين بالرغم من أنهم يشكلون جزء من المسلمين وليسوا هم كل المسلمين، ثم رسم شكل خاص للتدين

والفهم والتفسير لكثير من مسائل العقيدة والحياة عموما والقول بأن هذا هو منهج السلف وهذه هي تطبيقاته للدين وهذا هو شكل تدينهم بالإسلام، ومن ثمة إلزام الناس به وإخراج من لم يلتزم به من دائرة الإيمان وإحاقه بالمتدعة والضالين، وهو ما وقعت فيه الوهابية. لأنه ليس من حق أي كان اختزال هذه المرحلة المباركة ورموزها الذين يشكلون خير القرون في فرقة أو حركة أو حزب أو أيديولوجيا. فهذه المرحلة تمتلك من القيم الإنسانية والتميز وعلو الشأن ما يجعلها مصدرا للجمع في العلم والتقوى والصدق وغير ذلك من القيم...

ومن ناحية أخرى فإن الوهابية بوصفها حركة اشتبكت بالسياسة في تحالفها الأول صارت، مع مرور الأيام، حركة وظيفية ملزمة بأداء أدوار خاصة في الدولة وفي علاقة الدولة مع المحيط الدولي والإقليمي، وهو ما ظهر في توظيفها في محاصرة المد الشيوعي في أفغانستان. ثم توظيفها في محاصرة محاولات التغلغل الشيعي في العالم وفي كثير من بلدان العالم العربي. وتوريطها في الشحن المذهبي والطائفي للحرب في سوريا والعراق واليمن؛ ما يجعل المسافة بينها وبين السلف بعيدة جدا، ويجعلها في الوقت نفسه أقرب إلى فكر وممارسات الخوارج، بل ويجعل زوالها قريبا كما يقول أحد المحللين وهو الباحث اليمني عادل الشيعي؛ حيث يقول: " الوهابية وجدت بقرار سياسي وسوف يتم التخلص منها بقرار سياسي." مستندا إلى ما صرح به ولي العهد ابن سلمان من أن بلاده دعمت الوهابية بطلب من حلفائها الغربيين لمواجهة الخطر الشيوعي في المنطقة.

غير أن ما ينبغي الإشارة إليه هي أن الحركات، كما أشرنا سابقا، هي في الواقع استجابة لواقع اجتماعي وسياسي وثقافي معين، ومنها الحركة الوهابية؛ ما يعني أن قراءتها ينبغي أن تكون في ظرفها وسياقاتها، وذلك لا يعني البتة التغافل عن النقد البناء وإعادة القراءة من أجل تصحيح مسيرة الأمة، والنقد البناء لا يعني استدعاء لحظة تاريخية كارثية وإسقاطها على واقع لم يعد يتحمل المزيد من السباب والشتم والتضليل والتكفير بقدر ما يتطلب مصالحة فكرية ومعرفية حقيقية مع التاريخ ومع الواقع من دون التضحية بمبادئ ومقاصد الإسلام الكبرى.

مراجع حول الحركة الوهابية:

عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد.

حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاب حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام.

خالد الدخيل، الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة

عبد الله المالكي، الوهابية والسلفية الأفكار والآثار

انتهى